عنوان الخطبة	إنا لله وإنا إليه راجعون
عناصر الخطبة	1/فضل قول: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" 2/من ثمرات هذه الكلمة 3/دلالات ومعاني هذه الكلمة 4/ما لا يجوز فعله عند المصيبة
الشيخ	نواف بن معيض الحارثي
عدد الصفحات	10

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْخَلَّاقِ الْعَلِيمِ، خَلَقَ عِبَادَهُ مِنَ الْعَدَمِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالسَّرَّاءِ لِيَشْكُرُوا، وَبِالضَّرَّاءِ لِيَصْبِرُوا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يَقْضِي عَلَى مُؤْمِنٍ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَعَلَيْهِ السَّخَطُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ قُدْوَةً فِي الصَّبْرِ لِلْمَفْجُوعِينَ الْمَوْجُوعِينَ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فأوصيكم بتقوى الله.

عن أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)[البقرة: 156]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**"، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا؛ فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-"(مسلم).

عباد الله: كَلِمَةٌ مُبارَكَةٌ، عَظِيمَةٌ خَيْرَاتُهَا، كَثِيرَةٌ عَوَائِدُهَا وَفَوَائِدُهَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ المؤْمِنِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَاهُ، جَعَلَهَا اللَّهُ -تَعَالَى- مَلْجَأً لِلْمُبْتَلَيْنَ، وَمُعْتَصَمًا لِذَوِي الْمَصَائِبِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ المؤْمِنِينَ، إِنَّهَا كَلِمَةُ: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ -تَعَالَى- وَمَنَّ عَلَيْهِ عِندَ مُصَابِهِ وَبَلِيَّتِهِ بِالْفَزَعِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ الْمُبَارَكَةِ الْعَظِيمَةِ، مَعَ الاستحضارِ لِمَعَانِيهَا الْمُبَارَكَةِ، وَدَلَالَاتِهَا الْعَظِيمَةِ، وَتَحْقِيقِ مَقَاصِدِهَا وَمَرَامِيهَا؛ سَكَنَ قَلْبُهُ وَاطْمَأَنَّتْ نَفْسُهُ، وَهَدَأَ بَالُهُ وَعَوَّضَهُ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِي مُصَابِهِ خَيْرًا.

إنَّ هذه الكلمةَ العظيمةَ المبارَكةَ "إنا لله وإنا إليه راجعون"، لا بدَّ عندَ قولِها من استحضارِ مدلولِها ومعرفةِ مقصودِها، وتحقيقِ غايتِها، لا أنْ تجريَ على لسانِ الإنسانِ دونَ فَهمٍ للمعنى، أو تحقيقٍ للمقصدِ، ومن يتأملُ في دلالةِ هذه الكلمةِ المبارَكةِ يجدُ أنها اشتملتْ على أصلين عظيمينِ وأساسينِ متينينِ، إذا استحضرهُما العبدُ حالَ مُصابِه سلا قلبُه واطمأنتْ نفسُه:

الأصلُ الأولُ: أنْ يستحضرَ أنه عبدٌ للهِ طوعَ تدبيرِه وتسخيرِه، وأنَّه مملوكٌ للهِ يتصرفُ فيه رَبُّه وخالقُه وسيدُه كما يشاءُ ويريدُ، يقضي فيه بما يشاءُ ويحكمُ فيه بما يريدُ، لا معقبَ لحكمِه ولا رادَّ لقضائِه، وهذا مستفادٌ من قَولِه: "إنَّا للهِ"، أي: نحنُ مماليكُ للهِ طوعَ تدبيرِه وتسخيرِه -تعالى-.

الأصلُ الثَّاني: أنْ يَتذَكَّرَ العَبْدُ حالَ مُصابِهِ أنّهُ إلى اللهِ راجِعٌ وأنَّهُ سَيَقِفُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ، وأنَّ اللهَ سَيُحاسِبُهُ وَيَسْأَلُهُ عَمَّا قالَ وَقَدَّمَ في هَذِهِ الحَياةِ، وَهذا مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِهِ: "وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"، وَالعاقِلُ إذا تَذَكَّرَ رُجُوعَهُ إلى اللهِ أَحْسَنَ القَوْلَ وأَحْسَنَ العَمَلَ، وَابْتَعَدَ تَمَامَ الِابتِعادِ عنِ الإِساءةِ في أَقْوالِهِ أوْ أَعْمالِهِ.

لقي الفضيلُ بنُ عَيَّاضٍ رَجُلاً فَقالَ لَهُ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ مِنَ السِّنِينَ؟ قالَ: سِتُّونَ سَنَةً، قالَ: أَوَ ما عَلِمْتَ أَنَّكَ في طَرِيقٍ إلى اللهِ -تَعَالَى-، وأَنَّكَ قَدْ أَوْشَكْتَ أنْ تَبْلُغَ نِهَايَتَهُ؟ فَقالَ الرَّجُلُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَقالَ الفُضَيْلُ: أَوَ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قالَ الفُضَيْلُ: أَوَ تَعْرِفُ تَفْسِيرَهُ؟ قالَ الرَّجُلُ: وَمَا تَفْسِيرُهُ؟ فقَالَ الفضيلُ: قَوْلُكَ: إِنَّا لِلَّهِ، تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ، فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ، فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَسْؤولٌ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْؤولٌ، فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ؟ قَالَ: يَسِيرَةٌ، قَالَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ؛ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ؛ أُخِذْتَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ.

عِبادَ اللهِ: إنَّ هذهِ الكَلِمَةَ العَظِيمَةَ المبارَكَةَ "إنّا للهِ وإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ" يَقُولُها المسلمُ حالَ المصابِ، ويَقُولُها كَذَلِكَ إذا تَجَدَّدَ في قَلْبِهِ ذِكرُ المصابِ، قالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**ما من مُسلمٍ ولا مُسلمةٍ يُصابُ بمُصِيبَةٍ، فيذْكُرُها وإن طالَ عَهْدُها، فيُحْدِثُ لذلكَ استرجاعًا؛ إلا جَدَّدَ اللهُ له عندَ ذَلكَ، فَأَعطَاهُ مِثلَ أَجْرِها يَوْمَ أُصِيبَ بِهَا**"(أحمد وغيره).

عباد الله: فِي الِاسْتِرْجَاعِ فِي الْمُصِيبَةِ رَبْطٌ عَلَى الْقُلُوبِ؛ لِئَلَّا تَمِيدَ إِلَى الِاعْتِرَاضِ وَالْجُحُودِ، وَتَذْكِيرٌ لِلنُّفُوسِ بِأَنَّ الْمَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ -تَعَالَى-، فَتَهُونُ الْمُصِيبَةُ وَلَوْ كَانَتْ عَظِيمَةً؛ لِعِلْمِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَرْجِعِ أَنَّ الْجَزَاءَ عِنْدَ اللَّهِ -تَعَالَى- عَظِيمٌ، وَأَنَّ مَا يَنْتَظِرُهُ مِنْ ثَوَابٍ أَعْظَمُ مِمَّا فَقَدَ فِي مُصِيبَتِهِ؛ **(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)**[البقرة: 155 - 157]، وصلاةُ اللهِ -جلَّ وعلا-، أَيْ: يُثْنِي عَلَيْهِمْ، وَيُنَوِّهُ بِصَبْرِهِمْ وَاسْتِرْجَاعِهِمْ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى.

ص.ب 156528 الرياض 11788
+966 555 33 222 4
info@khutabaa.com
khutabaa.com

فَأَهْلُ الْأَرْضِ يَرِقُّونَ لَهُمْ لِأَجْلِ مُصَابِهِمْ، وَمَلَائِكَةُ السَّمَاءِ يَغْبِطُونَهُمْ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ -تَعَالَى- لَهُمْ، وَثَنَائِهِ -سُبْحَانَهُ- عَلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهِهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِصَبْرِهِمْ وَاسْتِرْجَاعِهِمْ، فَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ ذِكْرٍ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُمْ مِنَ الْعِوَضِ، وَمِنْ عَظِيمِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ!، وَيُضَافُ إِلَى صَلَاةِ اللَّهِ -تَعَالَى- عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ مِنْهُ -سُبْحَانَهُ- تَغْشَاهُمْ، وَمَنْ أَصَابَتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ -تَعَالَى- فَلَنْ يَضِلَّ وَلَنْ يَشْقَى.

وَوَصَفَهُمْ -سُبْحَانَهُ- بِالِاهْتِدَاءِ، وَهَذِهِ تَزْكِيَةٌ مِنْهُ -تَعَالَى- لَهُمْ، وَهِيَ أَعْظَمُ تَزْكِيَةٍ وَأَنْفَعُهَا لِصَاحِبِهَا؛ **(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ)**[التغابن: 11]، وقال-صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ؛ جَبَرَ اللَّهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاه**"(الطبراني وغيره).

نسألُ اللهَ -عز وجل- أن يجيرنَا أجمعين في مُصابِنا أياً كان، وأن يخلفنا خيراً، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، أقول قولي هذا، وأستغفِر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله...

أما بعد:

فيا عباد الله: الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ هِيَ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ وَأَشَدُّهَا ضَرَرًا عَلَى الْعَبْدِ، وفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: "**وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا**"(الترمذي)، وَتَكُونُ الْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ عَامَّةً وَخَاصَّةً، فمِنَ الْعَامَّةِ: شُيُوعُ الْكُفْرِ وَالْبِدْعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَصَائِبِ الدِّينِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ فِي إِضْلَالِ النَّاسِ، كَمَا أَنَّ فِيهِ اسْتِجْلَابًا لِلْعَذَابِ، ومِنْ مَصَائِبِ الدِّينِ مَا يَكُونُ خَاصًّا

بِالْعَبْدِ، فَمَنْ أُصِيبَ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ بِتَفْرِيطِهِ فِي طَاعَةٍ، أَوْ وُقُوعِهِ فِي مَعْصِيَةٍ، أَوْ فَوَاتِ خَيْرٍ يَطْلُبُهُ؛ اسْتَرْجَعَ لِمُصِيبَتِهِ فِيهِ.

وَكَذَلِكَ مَصَائِبُ الدُّنْيَا يُسْتَرْجَعُ فِيهَا سَوَاءٌ كَانَتْ عَامَّةً، كَغَرَقٍ أَوْ هَدْمٍ، أَوْ كَانَتْ خَاصَّةً كَفَقْدِ حَبِيبٍ، أَوْ تَلَفِ مَالٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَحَرِيٌّ بِمَنْ صَبَرَ وَاسْتَسْلَمَ لِقَدَرِ اللَّهِ -تَعَالَى- وَبَادَرَ بِالِاسْتِرْجَاعِ، أَنْ يُعَوِّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا فَقَدَ، قَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ**"(التِّرْمِذِيُّ).

وَكُلُّ مُصِيبَةٍ كَبُرَتْ أَمْ صَغُرَتْ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ فِي الدِّينِ أَمْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يُشْرَعُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْتَرْجِعَ فِيهَا، قَالَ-صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**لِيَسْتَرْجِعْ أَحَدُكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي شِسْعِ نَعْلِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ**"(ابنُ السُّني).

عباد الله: إن مما يجب الحذرُ منه والابتعادُ عنه عند نزول المصائب وحلول البلايا النِياحةَ وشقَّ الجيوبِ ولطمَ الخدودِ؛ فإن ذلك من أعمالِ الجاهليةِ، قال-صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**"، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-: "**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**".

والبكاءُ على الميتِ دون جزعٍ لا شيء فيه، فعن أسامة قال: إنَّ ابْنَةً للنَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- أرْسَلَتْ إلَيْهِ وهو مع النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- : أنَّ ابْنَتي قدْ حُضِرَتْ فاشْهَدْنا، فأرْسَلَ إلَيْها السَّلامَ ويقولُ: "**إنَّ لِلَّهِ ما أخَذَ وما أعْطَى، وكُلُّ شَيءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَحْتَسِبْ ولْتَصْبِرْ**"، فأرْسَلَتْ تُقْسِمُ عليه، فَقامَ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وقُمْنا، فَرُفِعَ الصَّبِيُّ في حَجْرِ النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفاضَتْ عَيْنا النَّبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ-، فقالَ له سَعْدٌ: ما هذا يا رَسولَ اللَّهِ؟! قالَ:

"هذِه رَحْمَةٌ وضَعَها اللَّهُ في قُلُوبِ مَن شاءَ مِن عِبادِهِ، ولا يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبادِهِ إلَّا الرُّحَماءَ"(البخاري).

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[الأحزاب: 56].

ص.ب 156528 الرياض 11788
+966 555 33 222 4
info@khutabaa.com
khutabaa.com